رسائل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة المنصور الموحدي وموقفه منها

د. رندة عباس*

عامر غسان الشدود**

(تاريخ الإيداع 8 / 6 / 2021. قبل للنشر في 23 / 8 / 2021)

□ ملخّص □

إن دراسة العلاقات الدبلوماسية في العصور الوسطى يتطلب تعريفاً بالدبلوماسية والهدف منها، فالدبلوماسية قديمة قدم الجماعات البشرية، وهي انعكاس طبيعي لحركة تلك الجماعات، وفي تفاعلاتها مع بعضها البعض، والتي تهدف إلى ضبط العلاقات فيما بينها، وقد اتسمت الدبلوماسية في كل مرحلة من المراحل التي مرت بها بسمات جديدة أظهرت معالمها ومجالاتها.

إلا أن الواقع الدبلوماسي في العصور القديمة والوسطى تميز بكونه بعثات دبلوماسية مؤقتة وثنائية، تنتهي مع انتهاء الهدف من الزيارة بقبول الطرف الآخر لأفكار المبعوث أو رفضها، ومع ضعف الامبراطورية العباسية وانقسامها إل مجموعة من الممالك والإمارات، وما رافقها من أطماع خارجية تمثلت بحروب الفرنجة، حيث ازدهر النشاط الدبلوماسي بين تلك الممالك والإمارات التي لعبت دوراً أساسياً في التصدي لتلك القوى المعادية، وذلك من خلال التعاون فيما بينها، والاتفاق مع بعضها للحد من تأثير تلك الحملات على الواقع السياسي والاقتصادي والديمغرافي للمنطقة عامةً والمشرق العربي خاصةً.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدبلوماسية_ الخلافة العباسية_ حروب الفرنجة_ رسائل

* أستاذ مساعد–قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين –اللاذقية–سورية.

**طالب دراسات عليا(دكتوراه) تاريخ عرب وإسلام–قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين –اللاذقية–سورية.

Letters of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi to the Caliph al-Mansur al-Mowahidi and his position on it

Dr. Randa Abbas*
Amer Ghassan ALshadoud**

(Received 8 / 6 / 2021. Accepted 23 / 8 / 2021)

□ ABSTRACT □

The study of diplomatic relations in the Middle Ages requires a definition of diplomacy and its goal, as diplomacy is as old as human groups, and it is a natural reflection of the movement of these groups, and in their interactions with each other, which aims to control the relations between them, and diplomacy has been characterized in every stage that has passed. With new features that revealed its features and fields.

However, the diplomatic reality in ancient and medieval times was distinguished by its being temporary and bilateral diplomatic missions, which ended with the end of the visit's goal of accepting or rejecting the ideas of the envoy, and with the weakness of the Abbasid Empire and its division into a group of kingdoms and Emirates, and the external ambitions that accompanied it represented by the Crusades, where Diplomatic activity flourished between those kingdoms and emirates, which played a key role in confronting these hostile forces, through cooperation between them and agreement with each other to limit the impact of these campaigns on the political, economic and demographic reality of the region in general and the Arab Levant in particular.

Key words: Diplomatic relations - the Abbasid caliphate - the Crusades- Messages

***Associate Professor - College of Arts and Human Sciences - Department of History- Tishreen University - Lattakia – Syria.**

****Postgraduate student (PhD) History of Arabs and Islam - College of Arts and Human Sciences - Department of History - Tishreen University - Lattakia – Syria.**

مقدمة

شهدت مرحلة العصر العباسي الثاني232-656هـ/846-1158م، انقسام الخلافة العباسية، وتأسيس العديد من الإمارات والدويلات المستقلة، وذلك في شرق الخلافة ومغربها[1]، وقد اختلفت تلك الدول في مساحاتها وبيئة أنظمتها السياسية، فمنها من اتبع نظام الإمارة، ومنها من شكل نظام سلطاني، ومنها من أسس دولة خلافة توزاي سلطة الخلافة القائمة في بغداد، وقد أعلنت تلك الإمارات والدويلات انفصالها الكامل عن السلطة السياسة والدينية للخلافة العباسية.

كما شهدت تلك المرحلة اندلاع حروب الفرنجة، وقد تمكن الفرنج من تأسيس دويلات لهم في المشرق العربي الإسلامي[2]، وهذا ما أرغم القوى المشرقية المسيطرة على إرسال بعثات دبلوماسية إلى مختلف الدول العربية الإسلامية، هادفةً من خلال ذلك إلى تأسيس جبهة قتال موحدة ضد أطماع الفرنجة، ونتيجةً للاختلافات السياسية والدينية بين تلك الدول، فقد رفض البعض هذه البعثات والمطالب.

ومن هذه البعثات، بعثة السلطان صلاح الدين الأيوبي 564-589هـ/1169-1193م[3] إلى الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور 580-595هـ/1169-1193م [4].

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث، من خلال إلقاء الضوء على أهمية البعثات الدبلوماسية ودورها في التطورات السياسية في تلك الفترة، لا سيما بعثة السلطان صلاح الدين إلى السلطان أبو يعقوب، في محاولة لإنشاء جبهة عربية إسلامية موحدة ضد الغزو الفرنجي.

[1]- نشأت العديد من الدول والإمارات المستقلة عن الدولة العباسية في مشرقها ومغربها، مثل :الدولة الطاهرية-الرستمية-الطولونية-الإخشيدية ،وغيرها الكثير.عدوان، أحمد مصطفى. موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، د.ط، دار عالم الكتب للنشر،الرياض،1990م،ص18-177. ضيف، شوقي. عصر الدول والإمارات في الشام،ط2،دار المعارف،القاهرة،1990م،ص 17-45.

[2]- قاسم،عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1990م، ص 33-89.

-الشيخ، محمد مرسي. عصر الحروب الصليبية في الشرق، د.ط، د.ن، الاسكندرية، 2004م، ص 14-38.

[3] -صلاح الدين الأيوبي: ينتمي إلى عائلة كردية، اسمه يوسف بن أيوب، ولد عام532هـ/1137م،في تكريت، تدرب على الفروسية والحرب، و مارس السياسة وتدبير الأمور، ومع دخول نور الدين زنكي دمشق، تولى صلاح الدين عدداً من المهام. علوان، عبدالله ناصح. صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، ط2، دار السلام ، لقاهرة، د.ت، ص 12-15.

[4]- أبو يوسف يعقوب المنصور: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي، الملقب بالمنصور، ولد عام(544هـ/1160م)،أمه رومية اسمها ساهر، كان ذا رأي وحنكة سياسية نتولى الوزارة في عهد أبيه، وبعد وفاة والده بويع بالخلافة وعمره 32 سنة، حيث كان في مهمة قتالية ،وعندما عاد إلى إشبيلية استكملت اجراءات البيعة. ابن خلدون، عبد الرحمن. العبر، تح :سهيل زكار، خليل شحادة ،د.ط، دار الفكر، بيروت،2000م، ج6، ص 325.المراكشي،عبد الواحد. المعجب، تح: محمد سعيد، محمد العربي ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص 261-265.

منهجة البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي لأحداث المنطقة، وتحليل رسائل السلطان صلاح الدين، وفق منهج علمي، بالإضافة للاستعانة بالعديد من المصادر التي عاصرت هذا الحدث التاريخي، والمراجع الحديثة التي تحدثت عن هذه البعثة.

إن دراسة هذه الرسائل والبعثات تساعد على تحليل الفكر الاستراتيجي والعسكري للسلطان صلاح الدين، الذي سعى جاهداً منذ تسلمه الحكم، لإقامة جبهة عربية إسلامية موحدة في المشرق والمغرب ضد الحملات الصليبية، والتي كانت تستهدف المشرق والمغرب والأندلس[5] على حد سواء.

ومن هنا يمكن القول إن قوات الأيوبيين في المشرق، والقوات الموحدية في المغرب، شكلتا الحصن الذي ساهم في التصدي لتلك الحملات، من خلال موقف السلطان صلاح الدين الدفاعي بعد موقعة حطين 583هـ/1187م ،والموقف الهجومي لسلطان أبو يوسف يعقوب المنصور في حروبه ضد الفرنج في الأندلس.

الواقع السياسي والعسكري في المشرق العربي الإسلامي:

شهد العصر العباسي الثاني قيام العديد من الدويلات المستقلة عن جسد الخلافة المركزية في بغداد، وكان أهمها الدولة الأيوبية 564-648هـ/1169-1250م، التي وقع على كاهلها أمر الدفاع عن المشرق العربي الإسلامي، وذلك ضد جميع الغزوات لاسيما الغزو الفرنجي، وذلك مع وصول صلاح الدين الأيوبي إلى منصب وزير في الدولة الفاطمية[6]،فعمل على استمالة قلوب الناس، وبذل الأموال لهم، فأحبته الرعية، ومالت له قلوب الناس، وبذلك تمكن من تثبيت نفوذه في مصر.

وبعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله 555-567هـ/1160-1171م [7]، انتهت الخلافة الفاطمية، وذلك إثر إعلان صلاح الدين الأيوبي تبعيته للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله 566-575هـ/1170-1179م[8]، وليبقى صلاح الدين معلناً ولائه للسلطان نور الدين محمود بن زنكي حاكم بلاد الشام 541هـ/1169م، حتى وفاته

---

[5] الأندلس: شبه جزيرة مثلثة الشكل، تمتد من المحيط الأطلسي شرقاً حتى مضيق جبل طارق غرباً، ومن البحر المتوسط جنوباً حتى مدينة برشلونة شمالاً، ومن أهم مدنها (إشبيلية-قرطبة-سرقسطة-بلنسية) ومالقة التي افتتحها المسلمون على يد طارق بن زياد، وتوالت عليها ممالك المسلمين، بالإضافة للخلافة الأموية، ثم ملوك الطوائف، ثم المرابطين والموحدين، حتى سقطت بيد الإسبان عام (897هـ/1491م).ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي. صورة الأرض، د.ط، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 104-112. الحموي، ياقوت. معجم البلدان، تح:فريد عبد العزيز الجندي ،د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص 311-313.

[6] الدولة الفاطمية: أسسها عبيد الله المهدي، الذي ولد في السلمية في بلاد الشام، وبعد انكشاف أمره انتقل إلى مصر ثم المغرب، لقب نفسه بالمهدي، ثم انتقل بأنصاره شرقاً وتمكن من السيطرة على بلاد الشام ومصر، وقام بتأسيس الخلافة الفاطمية. حمودة، عبد الحميد حسين. تاريخ المغرب، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2007م، ص 388. العيدروس، محمد حسن. حضارة دول المغرب العربي، د.ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2011م، ص 37.

[7] لعاضد لدين الله: ولد عام(546هـ/1152م)،بويع بالخلافة وهو صغير السن، وشهد حكمه سقوط الخلافة الفاطمية، ويزوغ نجم صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى الحروب الصليبية. المقريزي، أحمد بن علي. إتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تح:محمد حلمي،د.ط، لجنة إحياء التراث الإسلامية، القاهرة،1996م، ج3، ص 241-324.

[8] المستضيئ: ولد سنة536/1142م،تولى الحكم عام 566هـ/1171م، دام حكمه حوالي عشر سنوات، كان محباً للعلم وأقام العدل بين الناس. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تاريخ الخلفاء،ط1، دار الحزم، بيروت، 2003م، ص 349-351.

569هـ/1173م [9]، وبعد تخلص صلاح الدين من تبعيته للفاطميين والزنكيين، بدأ عملية توحيد المشرق العربي الإسلامي تحت سلطانه، وذلك بهدف الوقوف في وجه حملات الفرنج، فوجه قواته باتجاه بلاد اليمن 569هـ/1173م وتمكن من السيطرة عليه، ثم توجهت قواته نحو الحجاز وتمكنت من السيطرة عليها، وبدأ بذكر الخليفة العباسي على منابرها [10]،ومن بعدها توجه نحو بلاد الشام مع تولي الملك الصالح بن نور الدين محمود الحكم 569-577هـ/1173-1182م [11]،وكان في الحادية عشر من عمره، مما دفع قادة الجيش والأمراء إلى التنازع فيما بينهم على الحكم، ولتحقيق مآربهم الخاصة [12]،مما دفع صلاح الدين إلى إرسال حملة عسكرية إلى بلاد الشام تمكنت من السيطرة عليها [13]، ومع سيطرة صلاح الدين على الشام، يكون قد نجح في توحيد مصر وبلاد الشام والحجاز وشمال العراق في دولة واحدة، وبالتالي إقامة جبهة موحدة تتمكن من الوقوف في وجه الحملات الفرنجية وذلك عام579هـ/1183م.

وفي الوقت الذي كان فيه صلاح الدين يسعى إلى توحيد جهود الأمة العربية الإسلامية في مواجهة الفرنجة، كان الفرنج يقومون بتوسيع ممتلكاتهم و إماراتهم في المشرق العربي الإسلامي، لتجري عدة مناوشات بين صلاح الدين والفرنج، وكانت بدايتها عام 582هـ/1186م، عندما اعتدى صاحب حصن الكرك [14] الفرنجي على قافلة تجارية تابعة لصلاح الدين، فضم أموالها وأسر رجالها، مما دفع صلاح الدين إلى الثأر من هذا الاعتداء الفرنجي، لتبدأ بعدها سلسلة من الهجمات الأيوبية على مواقع وحصون الفرنجة، وتمكن صلاح الدين من استرجاع بعض المدن والقرى والقلاع الفرنجية، وذلك تمهيداً للمعركة الفاصلة [15]،والتي بدأ كل من الطرفين بالتجهيز لها، بما يلزم من عدة وعتاد ورجال، فكانت معركة حطين عام582هـ/1187م،والتي انتصر فيها صلاح الدين نصراً ساحقاً على الصليبيين، وتمكن من تحطيم القوة الرئيسية للقوات الفرنجية في تلك المعركة، وبالتالي لم تبق قوة تتمكن من الوقوف في وجه صلاح الدين،

[9] نور الدين زنكي: ولد 511هـ/1117م،تولى الحكم بعد وفاة عماد الدين عام 541هـ/1146م، اتخذ من حلب عاصمة له، قام بالتصدي للحملات الصليبية واستعاد الرها عام 541هـ/1146م.

[10] حيث أرسل صلاح الدين أخاه تورانشاه على رأس حملة عسكرية إلى اليمن، وتمكن من ضمها إلى أملاك الأيوبيين. سيد، محمد فؤاد. تاريخ مصر الإسلامية،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،2002م، ص 204.

[11] الملك الصالح: ولد عام 558هـ/1163م،تولى الحكم بعد وفاة والده وعمره 11 سنة، أطاعه الناس في الشام، وأقام صلاح الدين الخطبة له في مصر وضرب السكة باسمه، توفي عام 577هـ/1181م.ابن العديم، كمال الدين. زبدة الحلب من تاريخ حلب،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص 359.

[12] العبادي، أحمد مختار. في التاريخ الأيوبي والمملوكي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1992م،ص 45.

[13] قاد صلاح الدين حملة على بلاد الشام، ضم خلالها دمشق عام570هـ/1174م ،وسيطر على حمص وحماه وبعلبك والجزيرة بمدنها في الفترة الممتدة بين570-579هـ/1174-1183م، ثم ضم ماردين وحلب، لتعلن الموصل لاحقاً تبعيتها للدولة الأيوبية، وقد سارع صلاح الدين لتوحيد بلاد الشام، إدراكاً منه لحتمة الصدام مع الفرنج. طقوش، محمد سهيل. تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام،ط2، دار النفائس، بيروت، 2000م،ص 201-225.

[14] حصن الكرك: يقع بين البلاد الشامية والمصرية، قام أمير الحصن أرناط، بتوقيع هدنة مع صلاح الدين، سمح بموجبها للقوافل التجارية بالمرور في أراضي إمارته دون المساس بها، لكنه سرعان ما خرق هذه الهدنة، ما دفع صلاح الدين للانتقام منه. المطوي، محمد العروسي. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، د.ط، دار الغرب الإسلامي،تونس،1982م، ص 83-84.

[15] هاجم صلاح الدين مملكة بيت المقدس بجيش ضخم، تمكن من خلاله من السيطرة على سهل الأردن وبيسان، وبعد فرار الحامية الصليبية إلى طبرية،قام صلاح الدين بإحراق مخلفات الصليبيين، ثم قسم جيشه جماعات قام بتمشيط كافة أنجاء المنطقة. الشيخ، محمد مرسي، عصر الحروب الصليبية في الشرق، ص 135.

الذي استكمل تحرير بقية بلاد الشام من أيدي الفرنج [16]، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من الاستعداد لمواجهة الغزو الفرنجي، الذين سارعوا إلى تجهيز حملة جديدة نحو المشرق العربي الإسلامي.

واقع المغرب الإسلامي:

مع اندلاع الحروب الفرنجية في المشرق العربي الإسلامي، عرف المغرب العربي الإسلامي قيام العديد من الدويلات المستقلة، وكان من أهمها الدولة الموحدية 524-667هـ/1130-1269م، التي نجحت في تأسيس دولة مترامية الأطراف، ضمت مناطق واسعة من المغرب والأندلس، وحكم خلالها العديد من الحكام الذين تلقبوا بألقاب الخلافة، فظهرت الدولة الموحدية كقوة خلافة منافسة للخلافة العباسية في المشرق، وكان من أهم خلفائها، أبو يوسف يعقوب المنصور580-595هـ/1184-1199م،الذي نجح بتثبيت دعائم دولته، فقام بالقضاء على العديد من الثورات الداخلية التي هددت وحدة الدولة وكيانها، وسيطرت على أجزاء واسعة من شمال افريقيا بين عامي583-584هـ/1187-1188م، كما خاض العديد من الحروب الخارجية ضد القوى الفرنجية والأندلسية، والتي شكلت خطراً على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، ومن أهم تلك المعارك، معركة الأرك والتي جرت عام591هـ/1195م[17] ، ضد جيش أوروبي صليبي، تمكن أبو يوسف المنصور من التغلب عليه، وبذلك تمكن من ترسيخ قواعد حكمه، وامتدت الدولة الموحدية على مساحات واسعة مترامية الأطراف، غنية بالموارد والثروات، وجيش قوي صاحب مهارة عالية، وأسطول بحري ضخم، فرض سيطرة الموحدين على الحوض الغربي للبحر المتوسط [18]،وحافظ بذلك الموحدون على هيبة دولتهم، وكان عهد أبو يوسف هو العهد الذهبي للدولة الموحدية، جعل منها دولة مرهوبة الجانب، يحسب حسابها في كل مكان.

ثالثاً: العلاقات بين المشرق والمغرب:

-طبيعة العلاقة بين الخلافتين العباسية والموحدية:

سعى الموحدون منذ بداية دعوتهم الدينية إلى إظهار قرابتهم للرسول محمد (ص)،وذلك بهدف دعم مركزهم الديني السياسي، حيث قام محمد بن تومرت469-524هـ/1073-1138م بإرجاع نسبه إلى الرسول (ص) ولقب نفسه بالمهدي [19]، كما سار من تبعه على نهجه، من حيث إرجاع أنفسهم للنسب العربي واعتزازهم به ومنهم عبد المؤمن بن

---

[16] نجح صلاح الدين في تدمير أكبر جيش فرنجي أمكن جمعه منذ قيام الكيانات الفرنجية في المشرق، فلم تعد المدن والمناطق الصليبية تملك قوى الدفاع عن نفسها، فأخذت المناطق الفرنجية تتساقط بيد المسلمين، ليتوج صلاح الدين الأمر بانتصاره في حطين ودخول القدس عام538هـ/1187م.قاسم، عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية ،ص 118.

[17] موقعة الآرك: جنوب طليطلة، جرت فيها معركة بين الموحدين بقيادة أبو يوسف المنصور، وألفونسو الثامن، وانتهت بانتصار الموحدين. زغروت، فتحي. الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين الموحدين،ط1، دار التوزيع،القاهرة،2005م، ص 324-340.

[18] بدأ اهتمام الموحدين بالأسطول والبحرية منذ عهد عبد المؤمن، وذلك بسبب رغبتهم في التوسع نحو الأندلس، والتي يفصلها عن المغرب مضيق جبل طارق، وهذا ما دفع الخلفاء الموحدين نحو بناء أسطول يسهل الوصول إليها، ونجحوا في هزيمة الجيوش الأوروبية في عدة معارك بحرية، بالإضافة للقضاء على عدد من الحركات المعارضة في شمال إفريقيا، أهمها معارك أبو يوسف المنصور ضد بني غانية في تونس، وضد البرتغال عام 587هـ/1191م.سالم، عبد العزيز-العبادي، أحمد مختار. تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ط، دار النهضة، بيروت، 1969م، ص 276-277

[19] محمد بن عبدالله ابن تومرت، ينتسب إلى قبيلة هرغة، أحد بطون قبيلة مصمودة البربرية الكبيرة، كانت أسرته من أواسط القوم، لا تملك الثروة والمال، لكنهم تميزوا بمكانة دينية عالية. الزركشي ،محمد بن إبراهيم. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح :محمد ماضور،

علي [20]، ومع استقرار الوضع الداخلي لهم، سارع الخلفاء الموحدون إلى تلقيب أنفسهم بألقاب وأمرة المؤمنين،كما قطعوا الخطبة للخليفة العباسي، واستخدموا نقوداً خاصة بهم، تعبيراً عن استقلالهم عن الخلافة العباسية [21]،فضلاً عن رغبة هؤلاء بالتوسع نحو الشرق، وفرض سيطرتهم على الحجاز والأماكن المقدسة، لإضفاء الشرعية على حكمهم في قيادة المسلمين، دفعت الأعمال الموحدية الخلفاء العباسيين لتفويض صلاح الدين تقليداً، يقضي بإشرافه على كافة المناطق التي يسيطر عليه بحد السيف، وقد نوه سابقاً بتمكن الأخير من السيطرة على بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن والموصل، وتمكنه من تأسيس دولة موحدة مترامية الأطراف هي الدولة الأيوبية، لذلك بدأ يعد العدة ويهيئ الأجواء للتوسع غرباً نحو المغرب [22]، وبذلك ظهر التنافس بين الموحدين والعباسيين سياسياً وعسكرياً، وسعى كل طرف إلى إظهار وجوده كمدافع عن العرب والمسلمين، وهذا ما أثر بشكل سلبي على الجهاد في المشرق والأندلس ضد الفرنجة.

-البعثات الدبلوماسية بين صلاح الدين الأيوبي وأبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي:

أرسل صلاح الدين الأيوبي بعثات دبلوماسية متتالية على رأسها عبد الرحمن بن منقذ [23]، محملة بالهدايا المختلفة[24]،وحاملاً معه ثلاث رسائل إلى الخليفة الموحدي أبو يوسف، يدعوه فيها إلى مساعدته في مواجهة الفرنجة الذين بدأوا بالوفود بشكل كبير إلى المشرق بعد معركة حطين [25]،جاء في الرسالة الأولى عام 586هـ/1190م: "فتح الله بحضرة سيدنا أمير المسلمين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين، كان من أوائل عزمنا، وفواتح رأينا، عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمن بمكاتبتها، ونتزين بمخاطبتها، وننهض إليها امائل الأصحاب، ولما مخض النظر زبده، وأعطي الرأي حقيقة ماعنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة، فإن عددها واف، وشطرها كاف، ويمكنه أدام الله طاغية صقلية، ليحص جناح قلوعه أن تطير، ويعقل بجباب بحره أن يغير، ويعتقله في جزيرته، وما رأينا أهلاً لهذه الفرحة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه، إذ كان منحه عادة في الرضى به

المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص3. النجار،عبد المجيد. المهدي بن تومرت (حياته آراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب)، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1983م، ص23-33.

[20] عبد المؤمن بن علي: ينتسب إلى قبيلة بني مجير، من بطون قبيلة عاب، إحدى قبائل كومية، ولد في تاجرت عام 487هـ-1095م، بويع سراً بالخلافة بعد وفاة ابن تومرت، ثم تمت البيعة العامة في تينمل عام(526هـ-1132م)،وقد ملك المغرب كله بعد وفاة سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين. المراكشي ،عبد الواحد. وثائق الموحدين والمرابطين، تح: حسين مؤنس،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1997م، ص 94 . قصاري ،سكورة-سوداني، نعيمة. عبد المؤمن بن علي ودوره في الدولة الموحدية، مذكرة ماستر، د.ط، جامعة النويرة،2014-2015، ص 15-16

[21] اعتمد الموحدون في تعاملاتهم النقدية على الدينار الذهبي والدرهم الفضي، وقد سك الخليفة عبد المؤمن عملة ذهبية وقد نقش عليها اسمه عرفت بالمؤمنية. العتيري، نضال خليفة أحمد- حديدة،عبد النبي علي عبد الحفيظ. النظام المالي في عهد الدولة الموحدية، مجلة كلية الآداب،العدد 29، 2020م، ج1، ص 473-474.

[22] ابن خلدون. العبر، ج5، ص 326.

[23] عبد الرحمن بن منقذ، ولد في الشام عام 523هـ/1128م،أحد أمراء بني منقذ حكام شيزر في حماه، وكان ممن يعتمد عليهم في قضاء مهام الدولة الرئيسية. ابن خلكان. وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس ،د.ط، دار صادر، بيروت، 1977م،ج6، ص 12.

[24] شملت الهدايا السلطانية للخليفة الموحدي، مصحفين كريمين، وخمسين قوساً عربياً، وعشرين من النصول الهندية، وستمائة مثقال من المسك والعنبر وغيرها الكثير. ابن خلدون.العبر،ج6، ص 330.

[25] نغش،محمد.الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 59، 1983م،ص 165.

وقدرة على الإجابة، ورغبة في الإنابة، ولاية لأمر المسلمين ورياسة للدنيا والدين، وقياماً لسلطان التوحيد القاسم بالموحدين" [26].

ومن خلال قراءة نص الرسالة يمكن استخلاص مجموعة من النقاط وفق التالي:

-اختص الخليفة الموحدي أبو يعقوب بالكثير من المدح والثناء والألقاب، وذلك على الإنجازات الحربية والعسكرية التي قام بها في بلاده.

-إظهار الإنجازات الحربية التي قام بها السلطان صلاح الدين، وقسمها إلى تطهير مصر واليمن من أيدي الخلافة الفاطمية، ودوره في مواجهة الفرنج ونجاحه في الانتصار عليهم واسترداد بيت المقدس من أيديهم.

-توضيح ردة فعل الفرنج على هزيمة حطين، وتجهيز الجيوش في أوروبا للانتقام من المسلمين في المشرق وبالتالي توجيه هؤلاء حملة جديدة كاملة العدة والعتاد نحو المشرق.

-تحريك الأسطول الموحدي نحو بلاد الشام للمساهمة في الدفاع عنها ضد الغزوات الفرنجية، وتوجيهه نحو صقلية(1)،وذلك لمواجهة حاكمها، وغزو جزيرته التي تعتبر الخطر الرئيسي على المشرق.

-الطلب من الخليفة أبو يوسف المساعدة لمواجهة تلك الأخطار، كونه الأقدر والأنسب، وتعد دولته الأقوى في مواجهة تلك الأخطار على المشرق [27].

وفي الرسالة الثانية من نفس العام، تحدث صلاح الدين عن أمجاده السابقة في حروب مصر وبلاد الشام، ومن ثم حروبه ضد الفرنجة ثم يعطي وصفاً لخروج المساعدات الفرنجية الكثيرة نحو المشرق، وفي ختامها يطلب من الخليفة الموحدي تقديم الدعم والمساعدة له، بهدف القضاء على الغزو الذي تطاول على الإسلام، والرغبة في القضاء عليه، حيث قال: " إن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولاً قوياً مستعداً يقطع بحره، ويمنع ملكه، لأخذنا العدو إما بالجوع والحصار، أو مبارزةً، فأخذنا بيد الله إلى النصر" [28]

أما الرسالة الثالثة والأخيرة، فقد بين فيها صلاح الدين الأماكن التي تم استردادها من الفرنجة والمناطق المتبقية بين أيديهم وهي طرابلس-صور-انطاكيا [29]، ثم يشير إلى المساعدات الأوروبية التي لبت طلب النجدة للفرنج في بلاد الشام، مما أخر استرداد البلاد الموجودة بين أيديهم، وعلى وجه الخصوص مزاعم الانباء عن وصول حملة فرنجية

---

[26] لمعرفة كامل نص الرسالة، القلقشندي، أحمد. صبح الإعشى في صناعة الانشا، د.ط، المطبعة الأميرية، القاهرة،1922م، ج6، ص526-530.

[27] صقلية:جزيرة في البحر المتوسط، لها شكل مثلث، يفصلها عن إيطاليا مضيق مسينا وعرضه 3كم،وعن تونس معبر صقلية وعرضه 120كم،ونظراً لأهميتها، كانت عرضة للتنافس عليها من قبل كافة القوى في تلك الفترة. المدني، أحمد توفيق. المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1944م، ص 9-28.

[28] نغش،محمد. رسائل، 167.

[29] طرابلس:يحدها غرباً البحر المتوسط، ومن الشمال نهر بانياس، ومن الجنوب نهر المعاملتين، ومن الشرق سلسلة جبال لبنان، وتشمل طرابلس وطرطوس وجبيل، أما انطاكية تعد من المدن الهامة كونها ملتقى تجاري بين المسلمين والبيزنطيين، وقد استولى عليها الفرنجة عام491هـ/1098م ،بالنسبة لصور تعتبر من إمارة بيت المقدس، تجمع بها الفرنج بعد حطين، ومنها انطلقوا لحصار عكا. عاشور، سعيد عبد الفتاح. الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى،ط2،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1971م، ص 205ا.الجوهري،نهى فتحي. إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر ميلادي/ السابع الهجري ،ط1،دار العالم العربي،القاهرة،2008م، ص 35-36.

جديدة بقيادة فردريك الملك الألماني[30]، وفي نهاية الرسالة يطلب صلاح الدين من الخليفة الموحدي الوقوف في وجه تلك الحملة [31]،اختتم صلاح الدين رسائله، برسالة يخبره فيها عن أحوال القتال في عكا المحاصرة من قبل الفرنج، وعدد القتلى في صفوفهم، والمساعدات الكبيرة التي خرجت من أوروبا نحو الشرق لنجدتهم، وذكر فيها ثبات المقاتلين المسلمين أمام تلك الجحافل، وطلب منه إخبار المغاربة عن حاجة الجيوش العربية الإسلامية في المشرق للدعم والمساعدة، وذلك للوقوف في وجه تلك الدول مجتمعة، والراغبة في الاستيلاء على بلادهم [32]،يلاحظ من الرسائل المتتالية التي أرسلها صلاح الدين إلى الخليفة الموحدي، خطورة الوضع في المشرق، ورغبته الجادة في إقامة جبهة موحدة ضد الغزو الصليبي عليه.

موقف أبو يوسف من رسائل صلاح الدين:

رفض الخليفة الموحدي تقديم الدعم والعون للسلطان صلاح الدين، وقد أرجع بعض المؤرخين سبب رفض الاستجابة للطلب الأيوبي من أن صلاح الدين لم يعترف بخلافة أبو يوسف، ولم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين في رسائله، كون لهذه المسألة أهمية كبيرة عند الموحدين، وهذا ينبع من أن الاعتراف الأيوبي بالخلافة الموحدية معناه الاعتراف بصدق العقيدة الموحدية، وبالتالي شرعية الخلافة والدولة الموحدية [33]، غير أن هذا السبب يبقى ثانوياً تجاه الأحداث الأكثر أهمية، والتي هددت الدولة الموحدية بحد ذاتها، رغم قوتها العسكرية والسياسية، ومن هذه الأسباب:

أ-حملة قراقوش على المغرب:

كما تمت الإشارة سابقاً، فقد سعى صلاح الدين إلى إقامة جبهة إسلامية موحدة، لذلك بدأ التوسع عند توليه حكم مصر في مناطق واسعة في المشرق، وبعد استقرار الوضع له في المشرق، توجه بأنظاره تجاه بلاد المغرب، فجهز حملة بقيادة سيف الدين قراقوش عام571هـ/1175م [34]،تمكنت من فرض سيطرتها على مناطق واسعة من شمال افريقيا والمغرب الأدنى [35]، على رأسها مدينة طرابلس الغرب[36]، وبعد استقرار الوضع له، أقام الخطبة للسلطان صلاح الدين وابن أخيه تقي الدين[37].

---

[30] سارعت كل من إيطاليا، فرنسا، انكلترا، وألمانيا للاشتراك في الحملة الفرنجية، وكان أكبر هذه الجيوش بقيادة فريدرك باربا روسا الملك الألماني، الذي وجه رسائل إلى صلاح الدين لإعادة الأراضي التي استردها بحجة أنها ليست إسلامية. ضبيع، صلاح. تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ط1،المكتب العربي للمعارف،القاهرة،2009م،ص 175-213.

[31] أبو شامة. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،د.ط، مطبعة وادي النيل، القاهرة،د.ت، ج2، ص 171.

[32] نغش،محمد. الرسائل، ص 169.

[33] العبادي،أحمد مختار. دراسات في تاريخ المغرب، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت، ص 117.

[34] سيف الدين قراقوش الأرمني من المماليك، دخل في الأيوبيين، وقد عرف بألقاب عديدة، كالمظفر والناصر، وقراقوش لفظ تركي يعني النسر أو العقاب. المراكشي. المعجب، ص 38.ابن خلكان. وفيات الأعيان،ج4، ص 92.

[35] زحف قراقوش إلى زويلة، التي يملكها محمد بن الخطاب واستولى عليها، كما استولى على كافة أراضي المغرب الأدنى باستثناء قفصة-صفاقس-تونس،والتف حوله عدد كبير من عرب دياب وسليم وبنو هلال، اتخذ من طرابلس مقراً له، ثم نقله إلى فاس. ابن خلدون.العبر،ج5، ص335.

[36] طرابلس الغرب: من مدن إفريقيا، على ساحل البحر المتوسط، بني سورها من الحجارة، بها أسواق وحمامات كثيرة وبساتين وخيرات، أهلها تجار يسافرون براً وبحراً. الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس،ط2،مكتبة لبنان،بيروت،1984م، ص 389.

[37] الفاسي،علي بن أبي زرع. الأنيس المطرب بروض القرطاس، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 219.

استغل بنو غانية [38]، حملة قراقوش على المغرب، فسعوا لمراسلته، والتحالف معه، فاجتمع الطرفان واتفقا على التعاون ضد الموحدين، واقتسام المغرب الأدنى فيما بينهما، بالإضافة إلى تقديم كل طرف الدعم للآخر عند الحاجة، ووقعت تلك الاتفاقية عام581هـ/1158م، ومع استقرار الأمر لبني غانية، أعادوا الخطبة للخليفة العباسي، وجددوا البيعة والطاعة له [39].

ساهم التحالف بين بني غانية وقراقوش بازدياد نفوذ كلا القوتين، وأصبحا يسيطران على مناطق واسعة من بلاد المغرب، مما أجبر الخليفة أبو يوسف الموحدي على تجهيز قوات كبيرة للقضاء على الخطر القادم من الشرق، فخرج على رأس حملة عسكرية كبيرة عام582هـ/1186م، وبدأ عملية عسكرية واسعة النطاق، انتهت باستسلام

بني غانية وقراقوش سويةً [40]، فانتهت تلك الحملة بالفشل، وتمكن الخليفة أبو يوسف من تثبيت أركان دولته والقضاء على مصدر الخطر، وقد ساهمت حملة قراقوش في إثارة القلق للخليفة الموحدي، ولكن الأمر الأكثر أهمية حيال ذلك، ماهي دوافع صلاح الدين في تشجيع وإرسال حملة قراقوش على بلاد المغرب.

أرجع بعض المؤرخين قيام حملة قراقوش على المغرب إلى رغبة صلاح الدين في إيجاد موطئ قدم له في افريقيا والغرب الأدنى، وقد نجح ذلك إلى حد كبير، وذلك من خلال سيطرته على مواقع استراتيجية، ستمكنه من صد أي حملات فرنجية باتجاه المشرق عامةً ومصر خاصةً، وأصبح السلطان صلاح الدين يحكم المنطقة الممتدة من دجلة شرقاً إلى طرابلس الغرب غرباً [41].

بينما رأى آخرون أن الحكام الأيوبيون كانوا يتوجسون الخطر من نوايا الموحدين تجاه الشرق، وذلك لما يتردد عن أطماعهم في تلك المنطقة لاسيما مصر وبلاد الشام، لذلك اتخذ صلاح الدين زمام المبادرة، ووجه نحوهم حملة قراقوش، لتكون خط الدفاع الأول في مواجهتهم، وذلك لمنعهم من تحقيق مبتغاهم [42]،ولم يستبعد مؤرخون آخرون الجانب الاقتصادي في حملة قراقوش على المغرب، وذلك من خلال المكاسب التي سيجنيها صلاح الدين، والتي بدأت تصل إلى مصر مع الأموال والغنائم التي أرسلت من قبل قراقوش، وبالتالي سعى صلاح الدين إلى استغلال ثروات

---

[38] بنو غانية: حكام جزر البليار الشرقية في عهد المرابطين، ومع قيام دولة الموحدين دخلوا في طاعتهم، بما تقتضيه مصالحهم السياسية، ثم ما لبثوا أن ثاروا عليهم بعد وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وسيطروا على مساحات واسعة في المغرب الأوسط والأدنى، لكن الموحدين تمكنوا من استرداد كافة المناطق، مما دفع بنو غانية لإيجاد حليف قوي، تمثل بشخصية قراقوش. السلاوي، أحمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح:جعفر الناصري ومحمد النصري،د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج2، ص 143-144.

[39] خرج قراقوش مع ستين فارساً للقاء بني غانية، وبعد المناقشة بين الطرفين، اتفقا على تقسيم المغرب الأدنى إلى قسمين، وعدت مدينة بونة حداً فاصلاً بين الطرفين، فمنها وإلى الغرب (المغربين الأوسط والأدنى) لبني غانية، ومنها وإلى الشرق(طرابلس وإفريقيا) لقراقوش حق التصرف بها. ابن خلدون. العبر،ج6، ص 255-263.الأيوبي، تقي الدين. مضمار الحقائق، د.ط، دار الأيتام، القاهرة،1968م،ص 229.

[40] خاض أبو يوسف يعقوب المنصور عدة معارك مع بني غانية وقراقوش، ففي أول حملة أرسلها والمسماة سهل عمرة، كانت بقيادة يعقوب بن حفص، لكن هذه الحملة فشلت وقتل عدد كبير من قادة الحملة وجندها ومن ضمنهم يعقوب، مما دفع أبو يوسف لقيادة الحملة بنفسه، وبدأ باسترداد مناطق المغربين الأدنى والأوسط وإفرقيا، حتى أجبر المتمردين على طلب الصلح، لكن قراقوش سرعان ما أعلن التمرد والعصيان،و اضطر للفرار نحو الصحراء بسبب ملاحقة الموحدين وبنو غانية حلفاء الأمس له، إلى أن قتل في الصحراء. المراكشي. المعجب، ص 272-274.الزركشي،محمد بن إبراهيم. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 16.

[41] العسلي، بسام. فن الحرب الإسلامي في أيام الحروب الصليبية،ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2008م،ج4، ص 128-129.

[42] الغناي، مراجع عقيلة. سقوط دولة الموحدين،ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988م، ص 128-129.

المغرب لصالح مشروعه الحربي ضد الفرنجة، أما الرأي الأخير الذي ذكره بعض المؤرخين، يتعلق بالناحية الداخلية في الدولة الأيوبية، والذي كان له الأثر الأكبر في إرسال صلاح الدين قراقوش نحو المغرب، والمتعلق بجلب ابن أخيه تقي الدين [43] إلى السلطة وتعلقه بها، وهذا ما أثار حفيظة صلاح الدين، وخشي من مطامع أخيه السلطوية، فأراد التخلص من تطلعاته، وذلك بإرسال حملة قراقوش نحو المغرب[44].

ب-انشغال الخليفة الموحدي أبو يوسف في حربه ضد الصليبيين:

مع امتداد الدولة الموحدية نحو الأندلس، كان لابد من حدوث الصدام مع الممالك المسيحية القائمة آنذاك في ممالك قشتالة وأراغون [45]، وبالتالي كان لابد من تلقي حكام تلك الممالك الدعم من باقي قادة وملوك أوروبا، وكثيراً ما كانت تلك الممالك تطلب الدعم من الحملات الصليبية المتوجهة نحو المشرق، وذلك بهدف مساعدتهم في معاركهم ضد المسلمين، وكان حكام هذه الممالك يتلقون الدعم في أغلب الأحيان.

ففي عام 553هـ/1158م، استولى البرتغاليون بمساعدة بعض الصليبيين على مدينة قصر أبي دانس، بعد حصار بري وبحري استمر قرابة شهرين، لتسقط المدينة بين أيديهم [46]، كما استغل البرتغاليون قدوم أسطول صليبي آخر عام 585هـ/1189م في ميناء لشبونة[47]، مكوناً من خمسين سفينة ويحمل جنوداً صليبيين قادمين باتجاه المشرق، فطلب البرتغاليون مساعدته في الاستيلاء على مدينة شلب[48]، وبعد حصار طويل تمكن البرتغاليون من السيطرة على المدينة، وذلك إثر نجاحهم في السيطرة على آبار مياه الشرب المغذية للمدينة، وارتكبوا أفظع المجازر، من قتل وتدمير وتخريب بحق الأهالي والمدينة[49].

كان للسيطرة على مدينة شلب الأثر الأكبر في تجهيز الخليفة أبو يوسف لقواته بعد توليه الحكم، وذلك من أجل الاستعداد للتصدي للهجمات الفرنجية والبرتغالية على الأندلس، فهاجم أبو يوسف البرتغال[50]، واستعاد السيطرة على

---

[43] تقي الدين عمر، صاحب حماه،عرف بشجاعته وبطولته، استنابه عمه صلاح الدين على مصر، ثم تولى حماه، قتل في إحدى معارك ملاذكرد. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، تح:شعيب الأرناؤوط،ط3،مؤسسة الرسالة،بيروت،م21،1984م، ص 202-203

[44] توفيق،فواز نصرت. حملة قراقوش على المغرب وأثره على التوسع الأيوبي 580-586هـ/1185-1191م ،جلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت،م7،عدد 21، 2015م، ص 144.

[45] أو ما يطلق عليها شبه الجزيرة الأيبيرية، لها شكل مثلث يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث، ففي الجنوب البحر المتوسط ،وفي الغرب البحر المظلم المحيط الأطلسي ،ومن الشمال بحر المانش، طولها حوالي ألفا ميل وعرضها ستمائة ميل. الادريسي، محمد بن محمد بن ادريس الحسني.نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 535.

[46] النشار،محمد محمود. دراسات في تاريخ اسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م، ص 74.

[47] لشبونة:مدينة في الأندلس، قريبة من المحيط الأطلسي، تقع شمال نهر تاجة، وغرب مدينة قرطبة، لها سور منيع وحصين، وهي مدينة حسنة، وفيها حمامات حارة في الشتاء والصيف. الادريسي. نزهة المشتاق، ص 547.

[48] شلب:مدينة حسنة في بسيط الأرض، عليها سور حصين، لها غلات وخيرات، ويشرب أهلها من واديها الجاري في جنوبها، والمدينة جميلة الهيئة، بديعة المباني، مرتبة الأسوار، وأهلها يتكلمون بالكلام العربي الصريح. الادريسي. نزهة المشتاق، ص 543-544.

[49] العبادي،أحمد مختار. دراسات، ص 257.

[50] هاجم المنصور حصن طرش وسيطر عليه، فأرسل ملك البرتغال رسله لعقد الصلح مع المنصور. المراكشي، ابن عذارى. البيان(قسم الموحدين)،ص 206-207.

مدينة أبي دانس [51]، وبدأ يعد العدة لاستعادة مدينة شلب من أيدي الغزاة، فحاصرها عام 587هـ/1191م ،وبدأ بدك أسوارها ليلاً نهاراً، حتى أجبر سكانها على الخضوع له، وقد استمرت حملة أبو يوسف ثلاثة أشهر، وكان من أهم نتائج هذه الحملة، استرداد حصن شلب الاستراتيجي، وإجبار ملوك أوروبا على تجديد الهدن المؤقتة مع الموحدين، كما أجبر البرتغاليين على توقيع هدنة لمدة خمس سنوات[52]،كما وقع كثير من الفرنج بالأسر [53].

ومن هنا يلاحظ بأن الخليفة أبو يوسف شارك بشكل مباشر في الحروب الفرنجية، وذلك من خلال مواجهته للجيوش الفرنجية القادمة باتجاه المشرق، أو من خلال حروبه في الأندلس، والتي أدت إلى إجبار الكثير من الممالك المسيحية على الاستعداد الدائم، بهدف مواجهة قواته، وبالتالي انشغالهم عن الحرب في المشرق.

لم يقتصر اشغال الخليفة الموحدي للفرنجة في حروب برية، بل تعداه إلى مشاركة أساطيلهم في الحروب البحرية، إذ يرجع اهتمام الموحدين بالحروب البحرية إلى بداية تأسيس دولتهم، وتوسعهم في اتجاه الشمال والغرب، مما اضطرهم إلى بناء أسطول بحري عسكري تمركز على طول سواحل الدولة [54]، كما أنشأت لهذه الغاية المدارس البحرية لتخريج القادة الأكفاء والبحارة المدربين، وقد لعب الأسطول الموحدي دوراً هاماً في معاركهم البحري، وذلك من خلال توسعهم في شمال افريقيا والأندلس كحماية لدولتهم، وحراستها ضد أي عدوان، وقد بلغت الأساطيل الموحدية ذروة نشاطها وقوتها في عهد الخليفة أبو يوسف، الذي نشبت في عهده عدة معارك بحرية بينه وبين الإسبان [55]،وحقق انتصارات مهمة عليهم، فذاع صيت الأسطول الموحدي، ونجح في السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد تركزت مهمة هذا الأسطول في الدفاع عن سواحل الدولة الموحدية، ونقل الجنود لمواجهة المشكلات الداخلية، فضلاً عن قيام خلفاء الدولة الموحدية في مهاجمه الممالك الأوروبية، حيث قام الأسطول الموحدي بملاحقة الأساطيل الأوروبية التي تحاول عبور مضيق جبل طارق نحو البحر المتوسط، في محاولة الوصول إلى بلاد الشام ومصر، فضلاً عن إعاقة أسطول صقلية، الذي يعتبر القوة البحرية الأساسية المساندة للقوات الفرنجية في غربي المتوسط، والداعم الأول في غاراتهم باتجاه المشرق حيث كان الأسطول الموحدي يمنعه من التوجه نحو الشرق لمساعدة القوات الفرنجية[56]،وبذلك ساهمت تلك الأساطيل في الحروب الفرنجية بشكل غير مباشر، وأثرت على مجريات الأحداث في المشرق، من خلال تمكين قادته من تحقيق انتصارات مهمة على الفرنجة.

[51] مدينة أبي دانس: بقيت تحت الحكم البرتغالي، حتى هاجمها أبو يوسف بجيوشه، لكنه تلقى الهزيمة في المرة الأولى،ففضل التريث حتى يتدخل الأسطول الموحدي، وبدأ الهجوم الثاني الحاسم، بقصف المدينة بالمنجنيقات، ونتيجةً لهجوم الموحدين، اضطر البرتغاليون لطلب الصلح، وتمكن أبو يوسف من استعادة المدينة. النشار، محمد محمود. دراسات، ص 74.

[52] ميراندا،أمبروسي هويثي.التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير،ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2004م ، ص 343-347.

[53] السلاوي.الاستقصا،ج2، ص 189-192.

[54] بلغ عدد سفن الأسطول الموحدي ما يزيد على أربعمئة سفينة. ابن أبي زرع. الأنيس المطرب، ص 201.

[55] زغروت،فتحي.الجيوش الإسلامية، ص 292.

[56] سيسالم، عصام سالم. جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)،ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص 340-341.

النتائج المترتبة على رفض أبو يوسف مساعدة صلاح الدين:

أ-استيلاء الصليبيين على عكا:

بعد انتصار صلاح الدين في حطين، سارع إلى تحرير بقية مدن الشام الجنوبية، وكان من أهمها مدينة عكا[57]،والتي نجح في الاستيلاء عليها بعد أسبوع واحد من المعركة، دخلها عام 583هـ/1187م ، وتأتي أهمية الانجاز العسكري لصلاح الدين، كون عكا تمثل حجر الزاوية بالنسبة للمستوطنات الفرنجية في فلسطين [58]،كما أنها كانت تشكل نقطة وصل بحرية بين شطري الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام [59].

على أية حال، مع اجتماع بقايا الفرنج المنهزمين في حطين في مدينة صور [60]،وبعد أن شاهدوا كثرتهم، وضخامة جيشهم، سارعوا إلى نقض الصلح مع صلاح الدين، وتوجهوا نحو عكا من جديد للاستيلاء عليها، وذلك عام 585هـ/1189م ،فسارع هؤلاء بالقيام بحملتين برية وبحرية عليها، وفرضوا حصاراً خانقاً على المدينة، وقد باءت جميع محاولات صلاح الدين لفك الحصار عنها بالفشل، ومع استمرار المعارك والمناوشات بين الطرفين، وصلت المساعدات البحرية للصليبيين، مما زاد الضغط على المدينة، وبالرغم من المساعدات المقدمة من صلاح الدين، إلا أن المدينة اضطرت للاستسلام من جديد للصليبيين، الذين دخلوها عنوةً عام 587هـ/1191م [61].

ب-صلح الرملة:

مع وصول المساعدات الفرنجية إلى المشرق، بدأ هؤلاء باستعادة المناطق التي استولى عليها العرب المسلمون بقيادة صلاح الدين، فاسترد الفرنجة أثناء مسيرهم مدن عدة، وكان المسلمون يخربون أي حصن يمكن أن يستفاد منه الفرنج، واستقر الأمر للفرنجة بعدم مهاجمة بيت المقدس [62]،ليرسل بعدها الملك الانكليزي ريتشارد [63]، إلى صلاح الدين يحثه فيها على توقيع الصلح بينهما، وجاء فيها:" قد أهلكنا نحن وأنتم، والأصلح أن نحقن الدماء، ولا ينبغي أن تعتقد أن ذلك ضعف مني، بل أريد المصلحة..".

وكان رد صلاح الدين:" إنك إذا دخلت معنا في هذا الأمر، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان" [64].

---

[57] عكا: اسم بلد على ساحل بلاد الشام، وهي مدينة حصينة، بناها أحمد بن طولون، فتحها العرب الأوائل وبقيت بيدهم حتى دخلها الفرنجة، واستقروا فيها حتى استرجعها السلطان صلاح الدين، ثم ما لبث أن استعادها الفرنج عام (587هـ/1191م).الحموي. معجم البلدان،ج4، ص 162-163.

[58] أبو شامة. الروضتين،ج3، ص 202

[59] عاشور،سعيد عبد الفتاح. الحركة الصليبية ،ج2، ص 813.

[60] صور: مدينة في الشام، وهي داخلة في البحر، بينها وبين عكا ستة فراسخ، وبقيت بيد الصليبيين حتى نهاية الحروب الصليبية، وبعد موقعة حطين قام صلاح الدين بحصارها، ورفع الحصار بعد أسبوع، فأعاد الصليبيون تحصينها، وأصبحت قاعدة صليبية لاسترجاع ما أخذه صلاح الدين بعد موقعة حطين. الحموي. معجم البلدان، ج3، ص 493.العريني،السيد الباز. الشرق الأدنى في العصور الوسطى(الأيوبيون)،د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة،1968م، ص 93.

[61] المطوي،محمد العروسي. الحروب الصليبية، ص 86-91.

[62] العريني،السيد الباز. الشرق الأدنى في العصور الوسطى(الأيوبيون)، ص 102.

[63] كان ريتشارد قلب الأسد جندياً ذو موهبة في وضع الخطط الحربية كما شارك في الحملة الفرنجية الثالثة، وعلى دراية بفن المناورات في القتال، ويتمتع بشجاعة كبيرة. سيد، أشرف صالح محمد. الدبلوماسية الأيوبية –الصليبية، د.ط، شركة الكتاب الالكتروني العربي،بيروت،2007م، ص 11.

[64] عاشور،فايد حماد محمد. الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، ط1،دار الاعتصام، القاهرة،1981م، ص 234-235.

لتبدأ المفاوضات بين الطرفين على شكل مراسلات بين الملك ريتشارد و السلطان صلاح الدين، واتفق الطرفان على توقيع هدنة الرملة عام(588هـ/1192م)[65] ، وقد نصت بنود الهدنة على النقاط التالية:

-يسيطر الصليبيين على المنطقة الساحلية الممتدة من يافا جنوباً[66]، حتى صور شمالاً.

-السماح للنصارى بالحج إلى الأماكن المقدسة دون دفع ضريبة.

-تكون مدينتي اللد والرملة [67]،مناصفةً بين الطرفين

-تخريب مدينة عسقلان [68].

وبعد توقيع الهدنة، أمر صلاح الدين أن يذاع خبر الهدنة في معسكرات الجنود والأسواق، ليتمكن بعد ذلك المسلمون والفرنج من التنقل في البلاد بحرية تامة [69].

خاتمة:

عانى العالم الإسلامي من الضعف في الدور العباسي الثانية، وتفككت الخلافة إلى العديد من الدويلات المستقلة، ووقع على كاهل بعضها مهمة الدفاع عن الدولة الإسلامية ضد الغزو الخارجي بشكل عام والغزو الصليبي بشكل خاص، فضلاً عن كون الكثير من تلك الدويلات في حالة من التنازع والمنافسة فيما بينها، وذلك للحصول على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي.

وقد انشغل العالم الإسلامي بالهجمات الفرنجية الغربية على أراضيه، وعدم تمكن أي طرف من مساعدة الطرف الآخر، لذلك سعى صلاح الدين من خلال بعثته الدبلوماسية إلى الخليفة الموحدي، لتحريضه على الوقوف إلى جانبه، وذلك من خلال رسائله المتتالية، التي أوضح فيها الخطر المحدق بالمشرق، وعلى الرغم من الاستقبال الودي الذي قوبلت به السفارة من قبل الخليفة أبو يوسف المنصور، إلا أنه قابل مطالب صلاح الدين بالرفض، ويرجع ذلك إلى قراءته للرسائل والبعثة على أنها مطالب من صلاح الدين، دون أن يعترف به خليفة رسمياً، من خلال الألقاب التي احتفاها عليه، وعلى الرغم من المفهوم العميق لتلك الرسائل، إلا أنها لم تتلق الإجابات الشافية والفعل الصحيح، مما ساهم في زيادة الضغط على المشرق في تصديه للحملات الفرنجية.

[65] سيد، أشرف صالح محمد. الدبلوماسية، ص 30.

[66] يافا: مدينة على ساحل البحر المتوسط في بلاد الشام، من أعمال فلسطين، بين قيسارية وعكا، افتتحها صلاح الدين عام 583هـ/1187م ،ثم استولى عليها الفرنج عام 587هـ/1191م ، إلى أن استعادها الملك العادل عام 593هـ/1197م .الحموي. معجم البلدان، ج5، ص 488.

[67] اللد والرملة: قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين، أما الرملة، فمدينة في فلسطين كانت رباطاً للمسلمين، استولى عليها صلاح الدين، ثم قام بتخريبها خوفاً من استعادة الفرنجة لها. الحموي. معجم البلدان، ج3-5،ص 791-17.

[68] عسقلان:تقع في المدخل الجنوبي لبلاد الشام، على الطريق التجاري بين مصر والشام، لها شكل نصف دائري، ويمتد قطرها على طول الشاطئ، تربتها رملية، وتكثر بها البساتين والفواكه، وهي تجمع بين الجمال وأصالة المكان واعتدال المناخ، لذلك عرفت بفردوس الشام، ولها أربع أبواب، بوابة شرقية تعرف ببوابة بيت المقدس، بوابة غربية على البحر المتوسط، وثالثة جنوبية تقود نحو غزة، والأخيرة شمالية تقود نحو يافا. الحموي، ياقوت. معجم البلدان،ج4، ص 122.

[69] سيد،أشرف صالح محمد. الدبلوماسية، ص 31

Sources and References:

1-Ibn Al-Adim, Kamal al-Din. Butter of Aleppo, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1996 AD

2-Ibn Hawqal, Abu al-Qasim al-Nasibi. Image of the Earth, d. Ta, Al-Hayat Library, Beirut, 1992 AD

3-Ibn Khaldun, Abdul Rahman. Al-Abr, Tah (Suhail Zakar, Khalil Shehadeh), Dr. T., Dar Al-Fikr, Beirut, 2000 AD, Part 6،

4-Ibn Khallikan. The deaths of notables, Tah (Ihsan Abbas), Dr. T., Dar Sader, Beirut, 1977 AD, Part 6

5-Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad bin Idris al-Hasani, Nazhat al-Mushtaq in penetrating horizons, Dr. T, Religious Culture Library, Cairo, 2002 AD

Al-Ayoubi, Taqi al-Din. Track of facts, d. T, orphan house, Cairo, 1968

7-Hamwi, Yaqoot. Dictionary of the Countries, T (Farid Abdel Aziz Al-Jundi), d. T, Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut, dt, c1

8-Al-Hamiri, Muhammad bin Abdul-Moneim. Al-Rawd Al-Moattar in the News of the Countries, Tah (Ihssan Abbas), 2nd Edition, Lebanon Library, Beirut, 1984

9-Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman. The Journey of the Flags of the Nobles, Tah (Shuaib Al-Arna`out), 3rd Edition, The Resala Foundation, Beirut, Vol. 21, 1984

10-Abu Shama. Al-Rawdatain fi Akhbar Al-Dawlaan Al-Nouriah and Al-Sahihah, d.T., Wadi El-Nile Press, Cairo, d.T., Volume 2.

11-Al-Zarkashi (Muhammad bin Ibrahim): History of the Almohad and Hafsid States, edited by (Muhammad Mawdur), The Antique Library, Tunis, 2nd Edition, 1966 AD

12-Al-Fassi, Ali bin Abi Zarra. Al-Anees Singer Baroud Al-Qurtas, Dr. T, Dar Al-Mansour, Rabat, 1972

13-Laqalqhandi, Ahmed. Subuh Al-A'asha, d. T, Al-Amiriya Press, Cairo, 1922 AD, c6

.1314-Marrakech, Abdel Wahid. Documents of the Almohads and Almoravids, Tah (Hussein Mu'nis), 1st Edition, Library of Religious Culture, Port Said, 1997 AD

15-Marrakchi, Abdel Wahid. Al-Mujib, Tah (Muhammad Saeed, Muhammad Al-Arabi Al-Alam), 1st Edition, Al-Istiqama Press, Cairo, 1949

16-Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali. Al-Hanifa's Advocacy of the News of the Caliphs, Under (Muhammad Helmy), Dr. T., The Islamic Heritage Revival Committee, Cairo, 1996 AD, Part 3،

17-Al-Nasiri, Ahmed bin Khalid. Al-Istisqa for the news of the countries of the Far Maghreb, Ta (Jaafar Al-Nasiri and Muhammad Al-Nasri), Dr. T, Dar Al-Kitab, Casablanca, 1954 AD, Part 2

18-Tawfiq, Fawaz Nusrat. The Qaraqosh Campaign on Morocco and its Impact on the Ayyubid Expansion (580-586 AH / 1185-1191 AD), Journal of Historical and Cultural Studies, Tikrit University, Vol. 7, No. 21, 2015

19-Al-Gohary, Noha Fathy. The Crusader Emirate of Tripoli in the thirteenth century AD / the seventh century AH, 1st Edition, House of the Arab World, Cairo, 2008 AD

20-Hodeidah, Abdul Nabi Ali Abdul Hafeez. Financial System during the Almohad State Era, College of Arts Magazine, Issue 29, 2020 AD, Part 1

21-Hammouda, Abdul Hamid Hussein. History of Morocco, 1st Edition, House of Culture for Publishing, Cairo, 2007 AD،

22-Miranda, Ambrosi Hoythi. The Political History of the Almohad Empire, TR: Abdel Wahed Akmir, 1st Edition, New Success, Casablanca, 2004

23-Zagroot, Fathy. The Islamic Armies and the Movement for Change in the Two Countries of the Almoravids, 1st Edition, Dar Al-Tawzea, Cairo, 2005 AD
24-Salem, Abdulaziz-Al-Abadi, Ahmed Mukhtar. History of the Islamic Navy in Morocco and Andalusia, d. T, Dar Al-Nahda, Beirut, 1969 AD
25-Syed, Ashraf Saleh Muhammad. The Ayyubid Diplomacy - Crusader, Dr. T, the Arab Electronic Book Company, Beirut, 2007 AD
26-Syed, Mohamed Fouad. History of Islamic Egypt, 1st Edition, Madbouly Library, Cairo, 2002 AD
27-Sisalem, Essam Salem. The Forgotten Islands of Andalusia (Islamic History of the Balearic Islands), 1st Edition, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 1984
28-Al-Siouti, Jalal Al-Din Abdel-Rahman. The History of the Caliphs, 1st Edition, Dar Al Hazm, Beirut, 2003 AD
29-Sheikh Mohamed Morsi. The era of the Crusades in the East, d. T, d. N, Alexandria, 2004 AD
30-Dabaie, Salah. History of Europe in the Middle Ages, 1st Edition, Arab Bureau of Knowledge, Cairo, 2009 AD
31-Guest, Shawky. The era of states and emirates in the Levant, 2nd edition, Dar Al Maaref, Cairo, 1990 AD
32-Taqoush, Muhammad Suhail. The History of the Zinkists in Mosul and the Levant, 2nd Edition, Dar Al-Nafaes, Beirut, 2000 AD
33-Ashour, Saeed Abdel-Fattah. The Crusade Movement A Bright Page in the History of Arab Jihad in the Middle Ages, 1st Edition, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1963 AD, Part 2
34-Ashour, Fayed Hammad Muhammad. Islamic Jihad against the Crusaders in the Ayyubid Era, 1st Edition, Dar Al-I'tisam, Cairo, 1981 AD
35-Al-Abadi, Ahmed Mukhtar. History of the Ayyubid and Mamluk, d. T, University Youth Foundation, Alexandria, 1992 AD
36-Al-Abadi, Ahmed Mukhtar. Studies in the history of Morocco, d. T, University Youth Foundation, Alexandria, d
37-Adwan, Ahmed Mustafa. A Brief History of the States of the Islamic Orient, d. The World of Books Publishing House, Riyadh, 1990 AD
38-Al-Arini, Mr. El-Baz. The Near East in the Middle Ages (Ayyubids), d. T, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1968 AD
39-Al-Asali, Bassam. The Art of Islamic War in the Days of the Crusades, Edition 1, House of Arab Thought, Beirut, 2008 AD, Part 4
40-Alwan, Abdullah Nasih. Salah al-Din al-Ayyubi, the hero of Hattin and liberator of Jerusalem from the Crusaders, 2nd floor, Dar al-Salam, Cairo, d.
41-Al-Aidaroos, Muhammad Hassan. The civilization of the Arab Maghreb countries, d. T, Dar Al-Kitab Al-Hadith, Cairo, 2011 AD
42-Al-Ghanay, references Aqeelah. The Fall of the State of the Almohads, 1st Edition, Qar Yunis University Publications, Benghazi, 1988 AD
43-Qasim, Abdo Qasim. What are the Crusades, d. T, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1990 AD
44-Kasari, Skoura-Sudani, Naima. Abd al-Mumin bin Ali and his role in the Almohad state, Master's Memorandum, Dr. T, University of Nouira, 2014-2015
45-Al-Madani, Ahmed Tawfiq. Muslims in Sicily and Southern Italy, DT, National Publishing Company, Algeria, 1944 AD

46-Al-Mutawi, Muhammad Al-Arousi. The Crusades in the East and the Maghreb, Dr. T, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunisia, 1982 AD
47-Al-Najjar (Abd al-Majid): Al-Mahdi Ibn Tumart (his life, opinions, intellectual and social revolution and his impact on Morocco), Dar Al-Gharb Al-Islami, Cairo, 1st Edition, 1983
48-Al-Nashar, Muhammad Mahmoud. Studies in the History of Spain and Portugal in the Middle Ages, Dr. T, An Eye for Human and Social Studies and Research, Cairo, 2006 AD

Arabic magazines:

1-Nagish, Muhammad, The War Letters in the Era of the Ayyubid State, Journal of the Islamic University, Medina, Issue 59, 1983